الجزء الأول

السيرة والإنتاج

obeikandl.com

obeikandl.com

كلمة بين يدي هذه الدراسة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ .

[الأحزاب:٧٠، ٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

مازلت أذكر أول مرة عقدت فيها الصلة بفكر سيد قطب ~ ، كان ذلك بالتأكيد ، منذ ربع قرن تقريبا ، مازلت أذكر ذلك جيدا .

اقتنيت كتابه « النقد الأدبي : أصوله ومناهجه » وأقبلت عليه أقرؤه بشغف ولهفة ، وخاصة في تلك الفترة من الزمن التي كانت بالنسبة لي فترة الإدمان على القراءة ، محاولا الاتصال بالفكر في شتى واجهاته ؛ ولذلك كنت أنفق اليوم في الائتناس بالمعرفة وفتح الحوار معها لآخذ منها بحظي في نهم و شره بالغين بجانب الدروس الرسمية والخاصة [١] التي كنت أتلقاها عن السيد الوالد ~ تعالى .

---

(١) كانت هذه الدروس تشتمل على علوم اللغة والدين ، وكان بين العشائين ، وكنا نتلقاها بالطريقة القديمة في دراسة المتون وشروحها ، وما أحسنهَا من طريقة . =

مازلت أذكر جيدا جيدا .

قرأت كتاب سيد قطب « النقد الأدبي » وعرفت برغم صغر السن وفتاء العمر ، بعد انتهائي من قراءته مكانة الرجل الأدبية والنقدية ومستواه الفكري السامي .

والدليل على ذلك أنني شعرت بشوق يجمح بي فور الانتهاء من قراءة الكتاب المذكور إلى البحث عن إنتاجه الآخر ، وساعفتني الأقدار الحكيمة باقتناء كتابه الفريد « التصوير الفني في القرآن » ، أقبلت عليه أيضا أقرؤه بشغف ولهفة ، وعشت في حواء من دراسات فنية جيدة لنصوص القرآن الكريم ، وبعد انتهائي من قراءته أكبرت الرجل وأحببته في الوقت نفسه ، وتعرفت مدى ما يملكه من قدرة في التحليل الأدبي والدراسة الجمالية ، مما جعلني أكتب عن هذا الكتاب حديثا في جريدة الحسنى [1] أقدمه للقراء ، وعلى الخصوص لمن لم تسعفه الظروف بقراءته .

مازلت أذكر جيدا جيدا .

قرأت كتابة « التصوير الفني في القرآن الكريم » فجمع بي الشوق إلى البحث عن بقية إنتاجه ، أبحث عن إنتاجه الأدبي الآخر ، ورحت أتصيد كل ما يصدر من كتبه في طبعاته الجديدة ، وسعدت بقراءة كتابه أو على الأصح ، سيرته الذاتية « طفل من القرية » وقصته الرومانسية « أشواك » ، وقصته الرمزية « المدينة المسحورة » .

وهكذا ، إذا ، كانت صلتي الأولى برائد الفكر الإسلامي الحديث الشهيد سيد قطب ~ عن طريق إنتاجه الادبي ، ولا أخفي عليك ـ قارئي الكريم ـ إنني شكرت لأدبه الجميل كبير الشكر حسن صنيعه ، إذ ربط بيني وبين صاحبه بأسباب جعلتني أستشرف آفاق فكره الإسلامي بعد أيام وأيام .

= وكانت حلقة هذه الدروس تضم جماعة من الإخوان من بينهم الأخ الدكتور حسن الوراكلي الذي لم يكن ينقطع عنها وكان السارد الرسمي لها .

(١) العدد ١٩ السنة الاولى ، محرم ١٣٨٢هـ ، يونيه ١٩٦٢م .

ولا أخفي عليك ـ قارئي الكريم أيضا ـ مدى الإعجاب الذي غمرني وأنا أعيش مع أدبه الحلو الرقيق؛ إذ وجدت في عالمه ما ندى الخاطر ، وروى النفس ، ومتع الإحساس ، وهذب الشعور ، وصقل الذوق ، وفتح نوافذ لي أشرفت منها على دنيا وضيئة .

مازلت أذكر جيدا جيدا .

اتصلت بعطائه الأدبي ، وعرفت للرجل موقعه في أدبنا العربي الحديث ، وشعرت حينذاك بحافز من الشوق يشدني إليه شدا ويقودني إلى تمثل فكره الإسلامي ، وقد كان سيد قطب في هذه الفترة بالذات في غياهب السجن يعاني ألوانا من التعذيب من أجل هذا الفكر ، فرحت أتابع وأتابع ما تصدره دور النشر من عطائه في هذا المجال في طبعات جديدة ، واكتشفت بعد مدة من التمرس بفكره ريادته في الفكر الإسلامي الحديث بجانب ريادته الأدبية .

وإن ما يلفت النظر في إنتاجه الإسلامي صدق اللجهة ، والجهر بالحق ، والمواجهة الصريحة دون أن يجامل أحدا ، أو يداهن فلانا ، أو ينافق علانا ، الأمر الذي جعله يقدم رأسه فداء لتصوره العقدي السامي ، وقد قدمه من قبله من أجل الهدف نفسه أفذاذ من السلف الصالح ؛ لذا كان كل حرف كتبه في هذا الميدان ينضح بالصدق ، وكل كلمة فيه تنبض بشعور ندي بالإيمان الحق الذي لا يعرف إلا طريقا واحدا في الحياة هو طريق الإسلام ، أما غير طريق الإسلام فهو جاهلية ولا يمكن أبدا أن يلتقي الإسلام والجاهلية ، فإما إسلامًا وإما جاهلية ، وإما إيمانًا وإما كفرًا ، وليس هناك طريق ثالث بحال من الأحوال .

مازلت أذكر جيدا جيدا .

صاحبت سيدا في فكره الإسلامي فازداد إعجابي به توهجا ، وإكباري له ازدهاء ، وقد يبدو في هذا القول غلو عند بعض الناس ، وقد لا يبدو عند البعض الآخر على

هذه الصفة ؛ إذ يرى فيه الإنصاف كل الإنصاف ؛ لأنه ينظر إلى الأمر بمنظور إسلامي صرف .

والحق الذي ما بعده إلا الضلال أن الإنسان المسلم لا يمكن له بحال أن يكتم في نفسه صوت الحب نحو سيد قطب ~ وإلا يكون بذلك قد تنكر لخدماته الجليلة التي اضطلع بها من أجل لغة القرآن وأدبه وعقيدته السمحة ، تلك العقيدة التي وهبها عبقريته ، ونفحها مواهبه واصلا الليل بالنهار ، والآصال بالأصباح لا يفتر عن العمل إلى أن أفضى به هذا الرسوخ العقدي إلى رفض الجاه والمال وأعلى المناصب في الدولة ، وأغلق أذنيه عن نزعات المساومات التي بذلها الحكام لاستمالته على نحو ما فعلوا مع علماء السوء ؛ لذلك كتب عطاءه الإسلامي بدمه الزكي ، فبعث بسبب هذا في فكره الحياة ، وأصبحت كل فكرة فيه تنبض روحا ، وتشع خيرا ، وتندى خصبا ، وتأتلق على مدى الأحقاب خضرة تنعش الأحياء ، ولقد كان يعني ذلك حين قال متنبئا باستشهاده وباستشهاد أمثاله من أجل كلمة الحق : «إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا ولكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم ، أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم ، أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدموا دمائهم فداء كلمة الحق ».

« إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة حتى إذا متنا في سبيلها ، أو غذيناها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء » [١] .

كيف ، إذا ، لا يشعر المسلم الحق بهذا الشعور يا ترى نحو من ضحى بروحه من أجل أن يعيش الآخرون في سلام مع أنفسهم ، وسلام مع الناس ، وسلام مع العالم ، وسلام مع الكون حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين لله؟

---

(١) انظر كتابه « دراسات إسلامية » ، (ص ١٣٩) ، طبعة دار الشروق عام ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

إن هذا الشعور هو نفسه الحب في الله الذي قال فيه الحديث الشريف : « **أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله** » [١] .

الحـــب في الله انتـــشاء هــــو زورق يحـدو الركائـب للـضياء عبـق إلهـي
ينـــساب في هــــل للحيـــاة وضـــأة رواء إن لم تهـــب ربي الـــــولاء [٢]

وكان من دلائل إعجابي بسيد قطب رحمة الله عليه ، أن قلت فيه قصائد رثائية بمناسبة ذكرى استشهاده تشكل ديوانا ينتظر إشراقة النور وهو تحت عنوان : « إلى الجنة عبر أحراش العذاب » [٣] .

وألفت فيه مسرحية شعرية تتحدث بالخصوص عن محنته وهي تحت عنوان : «أعراس الشهادة في موسم الشنق» [٤] ؛ ذلك لأنني وجدت في شخصية سيد المتماسكة الغنية بكثير من الصفات الإيجابية مادة أدبية خصبة تستحق أن تستثمر في إطار نموذج حي يعكس واجهة الاستعلاء الإيماني في أجمل صوره ، وما أشد حاجة هذا العصر إلى مثل هذا النموذج ليكون منارة خضراء يستهدي بها الحائرون في عتمة الكفر ، والراقصون في وحل التملق ، والمولعون بإحراق البخور .

وكان من دلائل إعجابي به أيضا أن سميت ابني « قطبا » تيمنا بالمدلول اللغوي أولا ، وتيمنا باسمه الغالي ثانيا فقلت في ذلك :

وتفـــاؤلا ســـــميته قطبـــا ليــــز هر برعم عطر الشذى خضل الزهـر [٥]

---

(١) رواه الطبراني والبغوي عن حنش وهو متروك ، وله شواهد كثيرة يتقوى بها .

(٢) الأبيات لصاحب هذه الدراسة في ديوانه المخطوط « نوافذ على مدائن العشق والقهر » ، ووردت في كتابه « الحب في الله » ، (ص ٦) ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ، مطبعة ديسبريس ، تطوان .

(٣) نشر جلها في صحيفة «النور» الإسلامية المغربية .

(٤) نشرت بصحيفة «النور» ، الأعداد : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، السنة ٥ ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م . ثم طبعت مستقلة بمطبعة «النور» ، عام ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣ ، مع مقدمة لها تشرح ما يحتاج إلى شرح .

(٥) البيت من قصيدة لي قلتها بمناسبة ازدياد ولد لي عام ١٣٩٣هـ ١٩٧٤م ، وهي ضمن ديواني المخطوط « في وهج الوجدان » .

openlandai.com

ومن دلائل إعجابي به أيضا هذه الدراسة عن تفسيره « في ظلال القرآن » ، تلك الدراسة التي أثمرتها ما صرفته من أيام وأيام في الإكباب على قراءته والتمتع بجوائه العطرة .

ولقد آثرت أن أخصص لكل مجلد منه شهرا في العام ، وآثرت كذلك أن يكون هذا الشهر هو شهر رمضان المبارك لأعيش في مناخ منعش تنداح في آفاقه بركات رمضان ، وينساب في رحابه جلال القرآن ، ويشرق في عرصاته جمال التفسير .

والحق أنني حين آثرت ذلك أصبت الاختيار ، إذ ائتلفت هذه الأمور الثلاثة : بركات رمضان ، وجلال القرآن ، وجمال التفسير ، متناغمة فيما بينها على تمتيع أشواق الروح وإنعاش لهفة الفكر ، فحييت حقا شهرا رمضانيا استروحت خلاله أطايب البركة ، واستمعت إلى الله تعالى في خشوع العبد الذليل يخاطبني بوحيه الكريم النفاذ ، واستمعت إلى « الظلال » يتحدث إلي عن خطاب الله ، ويحملني أثناء ذلك على أجنحة الخير يكشف لي عن آفاق الإعجاز البياني في البنية التعبيرية ، وفي مسارب النفس ، وفي الحياة وفي نظام المجتمع ، وفي أسرار الكون ، وما شئت من هذه العجائب الربانية التي تتواكب مشاهد عبر الكتاب المعجز .

هكذا سرت مع كل مجلد من « الظلال » ـ ومجموعه ثمانية مجلدات ـ أرصد له من الزمن شهرا واحدا في العام هو شهر رمضان ، وكان مجموع الأشهر المصروفة في هذا البرنامج الرمضاني المبارك ثمانية على عدد مجلدات « الظلال » ، وانتهى البرنامج بعد ثماني سنوات ، وحين أكملت « الظلال » شعرت بوهج الانتشاء يسري في رحاب الكيان ، فقلت قصيدة ذات مقاطع ثلاثة ، وأرى من المناسب أن أنقل المقطع الأول منها للقارئ لعله يشاركني ما انطبع في نفسي من إحساس نحو « الظلال » :

روح وريحان يزفهما «الظلال» قدسا من الرحمن مخضل الجلال

شـقت مراكبـه دجـى الجـور اللعيـ ـين فـصار موكبـه مـشاعل في ليـال
قـاد الخطـى غـسقا إلى مغنـى العـلا تنداح فيـه منى السنا ورؤى الجـمال
ضـج العنـاد فـراح ينفـث حقـده ويـسوق في حنـق ركائبـه «جمـال»
وتملكـت رؤيـا «يعـوق» هـواجس الـ ـقلق المؤرق فالتظى شر الوبـال [١]

وانتهيت من قراءة «الظلال» ونفسي مفعمة بشتى الخواطر وأشتات الانطباعات، وبدا لي ـ وأنا لا زلت أقرأ المجلد الأول منه ـ أن هذا التفسير الجليل الطريف يستحق دراسة علمية وعلى الخصوص عن منهجه في التعامل مع النصوص القرآنية، فرحت أسجل ما يعن لي من أفكار، وما يخطر لي من ملاحظات، وعقدت العزم متوكلا على الله تعالى طالبا العون والتوفيق منه، على الشروع في هذا العمل فور الانتهاء من آخر مجلد من «الظلال»، وكذلك كان الأمر.

وحين استوت لدي معالم هذه الدراسة، وأشرقت ملامح آفاقها، أخذت أفكر في وضع تصميم هندسي لها ـ وهذه أصعب مرحلة في البحث العلمي كما يعرف ذلك من عانى مشقة البحث وخبر معاثر طريقه مدة من الزمن غير قصيرة ـ وكان هذا التصميم، وأنا إذا توصلت إلى تصور تصميم البحث، أي بحث، سهل على الأمر جدا، لأنني أكون بذلك قد تبينت الطريق وأبصرت موضع الأقدام، وما أسهل علي المضي فيه قدما نحو المدى الرحب أفتح رحابه أفقا أفقا مواليا الفتوحات المظفرة.

وأود ـ قارئي الكريم ـ أن أحدثك حديثا غير طويل أشرح لك فيه الخطوط العامة لهذا التصميم.

تنقسم هذه الدراسة إلى قسمين: القسم الأول خاص بحياة سيد قطب ~، من لحظة المولد إلى لحظة الاستشهاد وبآثاره الفكرية، ويتضمن بابين:

(١) القصيدة بديواني المخطوط الذي سبق ذكره «إلى الجنة عبر أحراش العذاب».

الباب الأول : يحتوي فصلين : واحد مخصص للحديث عن طفولته إلى مرحلة الشباب ، والآخر مخصص للحديث عن مرحلة ما بعد الأربعين .

والباب الثاني : يحتوي فصلين أيضا : واحد مخصص لعمله الأدبي والآخر مخصص لعمله الإسلامي .

والقسم الثاني : خاص بموضوع «منهج سيد قطب في تفسير القرآن الكريم» وقد مهدت لموضوع هذه الدراسة بمدخل عن الحركة التفسيرية المعاصرة . ومنهج سيد قطب عندي في التفسير ـ والله أعلم ـ نوعان : منهج فكري ومنهج فني .

أما المنهج الفكري ـ ويتضمن ثلاثة أبواب ، يحتوي كل باب منها على فصلين أو فصول ـ فيتحدد في استشراف آفاق سيد قطب في تفسيره لآيات الأحكام سواء في المجال الفقهي ، أو في قضايا الفكر الإسلامي بعامة ، مع التعرض لما أثير من شبهات حول «الظلال» وبسطها على محك النظر والبحث ، ويتحدد كذلك في استشراف آفاق منهجه في تفسيره الآيات النبوية وآيات العالم الآخر أو الغيبي والآيات العلمية .

أما المنهج الفني فيتحدد هو الأخر في استشراق آفاق منهج سيد قطب في الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، وفي القصة القرآنية وشخوصها الفنية ، وكل ذلك يتضمن في الباب الرابع ويحتوي ثلاثة فصول ، ثم أختم ذلك بخاتمة عن الدراسة .

وأحب بعد كل هذا أن أنبه على أن ما ذكرته سالفا من مشاعر الإعجاب وأحاسيس الإكبار نحو الإمام العزيز سيد قطب رحمة الله عليه ، لا يمكن ، بالجزم ، أن يكون له أدنى وزن في الحكم عليه في قضية من القضايا التي سنتعرض لها؛ إذ الحق عندي ـ والحمد لله على فضله ـ مقدس لا تنتهك حرمته مهما كانت الظروف فهو أحق أن يتبع والباطل أحق أن يجتنب ، وذلك ما يجعلني أتحامى المداهنة على حساب العقيدة ـ بعكس ما يفعل الكثير من الناس لأجل مصلحتهم الخاصة ـ

حتى ولو كان في ذلك مصلحتي فأوثر ما عند الله على ما عند العبد ، والحمد لله ثانيا على هذا الفضل والمنة .

وسيد قطب نفسه كان مثلا حيا في اتباع الحق ولو كان مرا ، وفي «الظلال» لمحات من هذا ؛ إذ نجد فيه سيدا لا يستحيي أن يتراجع عن رأي ، ولا يستحيي أن يقدم شكره لمن نبهه على خطأ وقع فيه ، وتلك هي الفضيلة في أسمى صورها ، والتي علمها الإسلام أبناءه منذ عهده الزاهر الأول ، ولازال إلى الآن ، فليس هناك في الوجود من لا يناقش في فكره سواء أكان عالما أم غير هذا أو ذاك إلا الصادق المصدوق ؛ لأنه وحي يوحى ، ويذكرني هذا بقول الإمام مالك ~ : « ليس بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ »[1] .

لقد صدق الإمام مالك في هذه القولة التي اشتهرت عنه ؛ إذ ليس هناك من البشر ـ وهو منهم ـ من يزعم لنفسه العصمة مهما سمت منزلته وعلا في العالمين شأنه إلا من نفخ الشيطان في عطفيه ، فإنه قد يذهب هذا المذهب المتطرف الشاذ ، فيحيط نفسه بهالة من التقديس ربما قد يفوق في مبالغته ما للأنبياء من تقديس ، الأمر الذي يجعله لا يرى أبدا في رأي الآخرين ما يصلح لأن يكون عمدة في أمر من الأمور ، ويرفض كل الرفض أن يناقش رأيه؛ لأن رأيه منزه ـ كما يظهر ـ عن الخطأ .

والحق أن كل قول قابل للأخذ والرد إلا قول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه وحي يوحى ، ومع ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يتقبل آراء أصحابه بصدر رحب ويعمل بها إذا لم يكن هناك أمر إلهي يضع الحق في نصابه ، وكان هدف نبينا ﷺ من ذلك هو أن يعلم أمته حرية الرأي في صورتها الحقيقية ، وحرية التعبير في مظهرها الحق ، وفعلا علم أمته العظيمة ذلك ، فلقنت الإنسانية هذه المبادئ

(١) نقل هذه الكلمة الرائعة السبكي في الفتاوى ج ١ ص ١٤٨ ، وقال عنها : «أخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد ، وأخذها منهما مالك واشتهرت عنه ﷺ» .

ونشرتها في كل أرض .

ولو عقل الناس كلام الإمام مالك ﷺ لما جمد بعضهم ممن يزعمون لأنفسهم العلم على الاجتهاد في مذهب معين في حين النص الحديثي الصحيح يخالف هذا الاجتهاد؛ إنه ولا شك تطاول من الجامدين على الوحي وكفر به في الوقت نفسه؛ لأنهم آثروا اجتهاد البشر على الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولو عقل الناس والحكام كلام الإمام مالك لانتفى من الأرض الجور ، وازدهرت حرية التعبير في الصورة المشرقة ، وتلاقحت الأفكار بسبب انتشار النقد البناء ، والتوجيه السليم ، والنقاش الصريح في جميع مجالات الحياة .

هذا من نحو ، ومن نحو آخر فإنه يجب أن نشير إلى حقيقة لا مجال لإنكارها البتة هي أن سيد قطب قد كان رائداً في كثير من الحلبات : في الأدب والنقد والبحث والسياسة والاجتماع والدعوة والجهاد والاستشهاد ، برغم ذلك تجاهل ريادته وسمو منزلته الدارسون ، وذلك لظروف مرت بها مصر أقل ما يقال فيها : إنها ظروف من القهر السياسي لم تعرفها مصر حتى في أيام فاروق الحالكة ، الأمر الذي دفع الدارسين ـ كما سيأتي الحديث عن ذلك مفصلا في الفصل الثاني من الباب الأول تحت عنوان الثورة والتراث الفكري لسيد قطب ـ إلى أن يتحاموا الحديث من قريب أو بعيد عن فكره كله سواء الأدبي منه أو الإسلامي خوفا من أن يلحقهم الأذى بعد أن سادت البلاد موجة كبيرة من الاعتقالات والاختطافات في صفوف الدعاة ، وكل من قال بعودة المسلمين إلى تحكيم كتاب الله في حياتهم .

مهما تكن الحال فبعد أن تغيرت الظروف وتبدلت الأوضاع عقب موت جمال عبد الناصر أصبحت الأسواق العلمية تستقبل بين الفترة والأخرى كتبا عن سيد قطب وأدبه وفكره بجانب ما استقبلته بعد وفاته مباشرة من بحوث عنه في مجالات

مختلفة ، كما أصبحت المدرجات الجامعية تستقبل هي الأخرى دراسات عن حياته وفكره ، وكأن الدراسين والمشتغلين بالعلم كانوا يتطلعون بكبير شوق إلى اليوم الذي تنجلي فيه ظلمة القهر السياسي عن مصر ليهتموا بهذا الرجل الذي خدم الأدب العربي خدمة جليلة على نحو سليم لم يخدمه به بعض من يعتبرون من أقطابه وعمدائه وهم صنيعة ، بالتأكيد ، من صنائع الغرب الخبيث ، كما خدم عقيدة الإسلام خدمة جليلة أيضا حتى أنه ضحى بكل عزيز لديه من أجلها ، فمات لتحيا أفكاره تنير للحيارى طريق الخير .

وبعد :

فهذا غرس جهد رضت النفس على المضي في طريقه مستلذا النصب ، باذلا التضحية ، غير ضنين بالوقت ، فما كنت ضنينًا في حياتي بوقتي من أجل الفكر والعلم وعلى الخصوص ما يتعلق بأمر عقيدتي وما يمت إليها من قريب أو بعيد؛ لأنها النور الذي أنظر من خلاله إلى الحياة .

مهما يكن من أمر فلن أزكي هذا الغرس فإن التزكية ليست من حقي ، ولكن من الظلم ـ كما أرى ـ ألا ألمح إليه وأنبه عليه لعله يوقظ الغافل عن المحاسن ، فلربما هذه المحاسن تشفع لي حين يعثر من يعثر على المساوئ؛ إذ العمل البشري لا يخلو البتة من المساوئ ، أو ليس من صفته النقص ، ومن صفة الله تعالى الكمال؟

فأملي أن يحظى بالقبول ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

*****

obeikandl.com

الباب الأول

السيرة

الفصل الأول : من الطفولة إلى الشباب .

الفصل الثاني : بعد الأربعين .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
من الطفولة إلى الشباب

المولد والنشأة :

بقرية « موشة » [١] الجميلة الحالمة حيث المياه تفيض على الربوع سخية ، فتغمر منها ما تغمر حاملة الخصب والخير ، تستحث السواعد المفتولة على العمل الجاد ، وتنبه في الإحساس شوق الحياة وخاصة بعد أن تشرق مشاهد الطبيعة زكية نضرة ، تملأ الخاطر بشتى ألوان الأحلام الخضراء الندية .

بهذه القرية المعطاءة الواقعة في محافظة « أسيوط » في الوجه القبلي من ريف «مصر» استقبلت الحياة الطفل سيدًا كما تستقبل كل مولود ، وذلك عام ١٣٢٤هـ موافق سنة ١٩٠٦م . ويرجع أصله إلى الأرومة الهندية اعتمادا على ما أورده الأستاذ الداعية أبو الحسن الندوي في كتابه « مذكرات سائح في الشرق العربي » [٢] الذي اعتمد هو أيضا في هذا على سيد قطب نفسه؛ إذ صرح له في لقاء معه بأن جده السادس الفقير « عبد الله » كان هنديًّا .

كان والده « الحاج إبراهيم » متدينا ، ذا مكانة ملحوظة بين أهل القرية ، جوادا ينفق ولا يبخل على الأسرة بشيء ، الأمر الذي جعله حين يقع في ضائقة مادية يبيع ما يملكه من قطع أرضية ، وقد غمر كرمه هذا حتى الخدام والعمال ، ولم يكن

---

(١) ذهب الدكتور مهدي فضل الله في كتابه «مع سيد قطب في فكره السياسي والديني» ، ص ٤٣ ، ط٢، عام ١٣٩٩ ، ١٩٧٩ ، مؤسسة الرسالة إلى أنه ولد بقرية «قها» من محافظة أسيوط ، والصحيح ما أثبتناه ؛ لأن جل المراجع عنه تؤكد هذا ، ومن هذه المراجع ملف خاص عن سيد يوجد بقسم المحفوظات بوزارة التربية والتعليم ، انظر : الأستاذ عبد الباقي حسين ، رسالة ماجستير بالآلة المكررة تحت عنوان «سيد قطب : حياته وأدبه» كلية دار العلوم عام ١٤٠٠ ، ١٩٨٠ .

(٢) (ص ١٥٣) ، الطبعة الثانية ١٩٧٥ ، مؤسسة الرسالة بيروت .

يسمح لهم بأن ينادوه « سيدي » [١] .

تزوج والده زوجتين ، أنجبت الأولى أولاداً ، وقد ألمح سيد إلى أحد منهم وهو أخوه الأكبر غير الشقيق في كتابه «طفل من القرية» [٢] ، وأنجبت الثانية ــ وهي أم سيد ـ خمسة أولاد : ذكران هما : سيد ومحمد [٣] وبنات ثلاث ، «نفيسة» [٤] و«أمينة» [٥] و«حميدة» [٦] ، وأكبرهم نفيسة ، ويليها سيد ، وأمينة ، ومحمد ، ثم الصغرى حميدة .

وكانت أمه هي الأخرى متدينة تنتمي إلى أسرة معروفة ، وقد اعتنت بتربيته أيما

---

(١) انظر : كتاب سيد قطب « طفل من القرية » ، ص ٨٠ ، ط ٤ ، عام ١٣٨٧ ، ١٩٦٧ .

(٢) ص ٣٣ و ١٥٦ و ٢٠٧ .

(٣) ولد سنة ١٣٣٨ موافق عام ١٩١٩م . عاش في رعاية أخيه سيد ، فكان له أخا مخلصا وأبا عطوفا رباه فأحسن تربيته ، التحق بالتعليم الابتدائي ، ثم الثانوي ، ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة حصل على ليسانس في الإنجليزية ، ودبلوم في التربية وعلم النفس ، وبعد التخرج التحق بوزارة التربية والتعليم ، غادر مصر إلى السعودية للعمل هناك في جامعة الملك عبد العزيز وهو لا يزال إلى الآن بها ، ويعتبر محمد قطب من كبار الدعاة والكتاب الإسلاميين ، له كتب عديدة من بينها «دراسات في النفس الإنسانية البشرية» ، و«منهج الفن الإسلامي» ، و«التطور والثبات في حياة البشرية» ، انظر : الخالدي «صلاح» ، سيد قطب الشهيد الحي ص ٦٤ ــ ط١ ، مكتبة الأقصى عام ١٤٠١ سنة ١٩٨١ .

(٤) تكبر سيدا بثلاث سنوات ، لا نعلم لها مشاركة أدبية ، استشهد ابنها «رفعت بكر نافع» الطالب في كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، وذلك أيام محنة الإخوان المسلمين ولحقها الأذى في سبيل الله ، إذ سجنت وعذبت رغم شيخوختها ، انظر : رزق «جابر» مذابح الإخوان المسلمين في سجون ناصر ص ١٤٢ ط ٢ دار الاعتصام عام ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ .

(٥) أديبة عذبت هي الأخرى لها أعمال أدبية خاصة في القصة ، من بينها مجموعة قصص «في الطريق» ، وقصص أمينة كلها تلتزم في المعالجة التصور الإسلامي ، انظر : قطب «محمد» ، منهج الفن الإسلامي ص ٣٢٦ ـ دار القلم ، «بدون تاريخ» .

(٦) أديبة سجنت وعذبت كذلك ، كتبت مقالات في مجلة «المسلمون »، وشاركت مع إخوانها في إخراج كتاب «الأطياف الأربعة» ، انظر : رزق «جابر» ، مذابح الإخوان ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

اعتناء ، وأخصبت في نفسه الحب إلى المعرفة والعلم والثقافة .

ومهما يكن من أمر فقد عمل أبواه على تنشئته نشأة طيبة؛ إذ استطاعا أن يبذرا في أعماقه الإيمان والأنفة والمروءة من خلال تصرفاتهما اليومية ، ومعاملاتهما مع الناس ، والقيام بمسؤوليتهما الدينية على خير وجه ، الأمر الذي كان له انعكاس على حياته منذ نعومة أظفاره إلى أن ظفر بالشهادة .

من ذلك مثلا أنه كان يرفض وهو صغير أن يرتكب ما يؤدي إلى خدش مروءته ، فحينما هرب من المدرسة سأما من التمرينات الرياضية أحس بعد أن هدأت فورة أعصابه بالحياء يغمره؛ إذ أدرك ما في فعلته من غضاضة ، «وكان على صغر سنه يدرك هذه الغضاضة فلم يستطع أن يواجه أهل البيت بفعلته ــ لا خوفا فقد كان آمنا من الضرب ـ ولكن حياء من الفعلة التي لم تكن تليق ، ففضل أن يزوي وجهه عنهم وأن يعتزلهم في مخزن التبن ، وقد كان ملحقا بدارهم الكبيرة ولكن له بابا مستقلا فأغلقه عليه وارتمى فوق التبن ، فنام [١] .

عاش سيد في هذه الأسرة التي لم تكن بالأسرة البرجوازية ولا بالأسرة الفقيرة ، وإنما كانت أسرة ميسورة الحال يجد في رحابها ما يلبي رغباته ويرضيه في تطلعاته الصبيانية .

وفي هذه القرية التحق بالمدرسة الابتدائية ، وفي نهاية السنة الرابعة حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره ، شغف حبا بالقراءة منذ صغره حين كان يأتي إلى القرية رجل يدعى «صالحا» يبيع الكتب في السوق فيسرع سيد بدافع من شوق يتقد بين الجوانح إلى شرائها قبل أن تنفذ « إنه كان عاشقا لهذه المكتبة الفريدة من نوعها في القرية بما تحويه من شتى ألوان الثقافة » [٢] .

---

(١) طفل من القرية ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣١ .

حقا إنه كان يلتهم ما يشتريه من مكتبة «عم صالح» التهاما ، ويدفع في ذلك ثمنا لا يستهان به ، ولا يتأخر عن شراء ما كان يعجبه في هذه المكتبة المتنقلة .

من القرية إلى المدينة :

بعد أن أنهى دراسته الابتدائية في القرية تركها عام ١٣٤٠هـ موافق سنة ١٩٢١م إلى «القاهرة» حيث أقام عند خاله «أحمد حسين عثمان» الذي كان يباشر التدريس والعمل في الصحافة بعد تخرجه من «الأزهر» ، وهناك التحق بمدرسة المعلمين الأولية تدعى حينذاك مدرسة «عبد العزيز» ، قضى بها ثلاث سنوات حصل بعدها على إجازة الكفاية في التعليم الأولي .

وفي حوالي سنة ١٣٤٤هـ موافق ١٩٢٥م التحق بتجهيزية دار العلوم التي لم يكن يلتحق بها إلا من أحرز الامتياز في التخرج من دار المعلمين الأولية ، وبعد ذلك أصبح لسيد الحق في الالتحاق بكلية دار العلوم ، فالتحق بها وتخرج منها سنة ١٣٢٥هـ موافق ١٩٣٣م . وعين موظفا بتحضيرية الداودية في السنة نفسها ، ومر عامان انتقل بعدهما إلى مدرسة دمياط الابتدائية ، وانتقل من مدرسة دمياط إلى مدرسة بني سويف الابتدائية سنة ١٣٥٤هـ موافق ١٩٣٥م ، ومنها انتقل إلى مدرسة حلوان الابتدائية سنة ١٣٥٥هـ موافق ١٩٣٦م ، ثم عمل محررا عربيا في مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف سنة ١٣٥٩هـ موافق ١٩٤٠م ، ومنها انتدب إلى إدارة الترجمة والإحصاء في العام نفسه .

وكان من المقرر أن يعاقب على ما يخطه قلمه من كتابات سياسية ، ولكن بدل هذا العقاب بعقاب آخر ، وهو بعثه مفتشا في التعليم الابتدائي إلى «الصعيد» شهرين وذلك سنة ١٣٦٤هـ موافق ١٩٤٤م ، وفي هذا يقول هو نفسه في الخاطرة الفنية المنشورة بمجلة «الرسالة » : «كانت الحرب وكانت الأحكام العرفية ، وقال الوزير : لابد أن يفصل هذا الموظف ، أو ينفى من الأرض ، أو يشرد فيها ، فقد

أبلغتني إدارة الأمن العام عنه أشياء ، إلى أن يقول : «وأبلغت أنني منفي من الأرض وقررت أن أستقيل . وأباها «الرجل الأريحي» الدكتور طه حسين [١] وقال : لن تصنعها وأنا هنا في الوزارة ، وإلى أن يقول أيضا : «ووفق الرجل بين «أريحيته الكريمة »وتشدد الوزير فكلفني أن أقوم بمهمة تفتيشية في الصعيد لمدة شهرين اثنين أختار فيها من الجهات والمدارس على اختلافها وأفصل اقتراحاتي في إصلاح الدراسة بصفة عامة» [٢] .

ونظرا لكفاءته العلمية التي أصبح لها وزن ، أي وزن ، انتدب للتدريس بعد عودته من أمريكا بكلية دار العلوم ، وإلقاء المحاضرات بها [٣] .

وقد ظهر نبوغ سيد قطب وتبرعمت مواهبه وهو لا يزال طالبا بكلية دار العلوم ، ويعضد ذلك شهادة أستاذه الدكتور مهدي علام في المقدمة التي كتبها لكتابه الأول (مهمة الشاعر في الحياة) حين يقول : « إنه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورا وقناعة واطمئنانا إلى أنني سأحمل أمانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها » [٤] .

ويقول أيضا : « إنني أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم » [٥] .

وما أن أخذ يمارس مهنة التربية والتعليم حتى راح يقرع عالم الفكر والأدب

---

(١) لو كان طه حسين يعلم الغيب فاطلع على المكانة العلية التي سيحتلها سيد قطب في مجال الفكر الإسلامي الحديث لاستكثر من الشر ، وألب عليه من ألب لعله يعرقل مسيرة الحركة الإسلامية ولكن الله يفعل ما يريد .

(٢) العدد ٦٨١ السنة ١٤ ، ص ٧٩٦ ، عام ١٣٦٦ ، ١٩٤٦م .

(٣) انظر : الخالدي «صلاح» سيد قطب الشهيد الحي ، ص ٩٤ .

(٤) ص ٩ طبعة دار الشروق ، بدون تاريخ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٠ .

ناقدا شاعرا قاصا كاتبا سياسيا واجتماعيا يرسل صوته في كل ناد فترتج رحابه تردد صداه ، وفي هذا الإبان من شهرته الأدبية والفكرية يقع في حب فتاة قاهرية فيشجعه ذلك على محاولة بناء عش الزوجية فيتقدم إليها يرغب في الزواج منها ، غير أنه اكتشف أن الفتاة تحب غيره ، مما كان له أكبر الأثر في تحريك شاعريته وإحساسه الأدبي ، فأصبح في هم وغم يصارع عواطفه اللاهبة ترجمها إلى شعر يزخر بفحيح الحرمان ، ولهيب العذاب ، من ذلك قصيدته « الكأس المسمومة » التي يقول فيها ممزق الأحشاء ساخطا معذبا :

أقلاك كالشيطان أقلاك أقلاك ... أقلاك كالسم يسري جد فتاك

إنك في نفسي وفي زمني ... وفي حياتي كأفعى ذات أشواك

ورغم ذلك فقد استطاع سيد أن يغالب نداءات القلب وكأن كل شيء قد انتهى ، وانتهى بالصورة التي يعيبه أن يحاول بعدها وصل ما انقطع أو رجع ما فات ، كان كبرياؤه يأبى عليه أن يعود ، وكانت مرارة الذكرى تطغى على حلاوتها في معظم الأحيان ، وكانت تجربته تذكره دائما بالآلام [١] .

وأصيب سيد قطب في حبه ، وكان ذلك مأساة بالنسبة إليه مما أملى عليه أن يكتب قصته الرومانسية «أشواك» وسيأتي الحديث عنها .

وقد حاول بعد هذا أن يتزوج ، وبذل في ذلك محاولات عديدة بدون جدوى ، ولكنه تزوج بالدعوة إلى الله تعالى فاستشهد في سبيلها ، وكان زفافه في السماء لا في الأرض ، حيث رضوان الله وآلاؤه وروحه وريحانه .

في تيه القلق :

انتقل سيد قطب ـ كما سبق ـ من القرية إلى المدينة ، وقد شارف مرحلة المراهقة ،

(١) قصة «أشواك» ، (ص ١١٨) ، بدون تاريخ ولا اسم الناشر .

فحمل معه أشتاتا من الأحلام ؛ إذ إن أمه كانت تعده لأن يجابه الحياة الحضارية الجديدة ، ويكافح في غمارها كي يسترجع للأسرة مكانتها «وكان كل شيء حول رحلة الفتى يوحي بأن له مهمة عظمى حتى كأنه ذاهب لفتح عكا» (١) .

إن القاهرة في خاطر سيد أمل وضيء يتلخص في أن يصبح متعلما ، فأخذ يواجه المجتمع القاهري الجديد ، وبرغم أن الحياة في القاهرة تختلف كل الاختلاف عن حياة القرية ، فإن سيدا استطاع أن يندمج في جوها ، وأن يصل أسبابه بها دون أن يحس بما قد يحس به البعض من عقدة النقص ، أو عقدة الخوف من مجابهة حياة حضارية لها من مظاهر الجمال البراق ما يدهش الإحساس وخاصة إحساس القروي .

عاش سيد قطب في المجتمع الجديد ، وراح على طبيعته يندمج في تياره كما يندمج كل الناس ، وراح يعب من نبع المعارف على مختلف أشكالها ، ويصاحب العقاد ويتأثر به ، وبالطبع كان يتلقى قيم هذه المعارف على علاتها ، ويتمثلها دون أن يحاول فرز الطيب فيها والخبيث ، مما كان له أثره في تصدع كيانه ووقوعه في تيه القلق ونار الشك ، يبحث عن ذاته الضائعة في خضم التساؤلات والحيرة ، ما الحياة؟ وما وظيفة الإنسان؟ ما مصير الكون؟ ما الغاية من هذا الوجود؟ هكذا كان ينطلق في جحيم التساؤلات دون أن يصل إلى جواب مفحم بجد في أحضانه برد اليقين ودفء الاطمئنان .

وسار سيد قطب فترة من الزمن على هذا الدرب المزروع بالشوك ، المعتم بالضياع ، يلتمس الخلاص فلا يجد ، وقد ترجم شعره هذه المرحلة من حياته ، من ذلك قوله معبرا عن تشتت الذات والبحث عن سبيل النجاة :

---

(١) طفل من القرية ، ص ٢١٨ .

أنقب عن ماضي بين سرائري فألمحه كالوهم أو طيف عابر
أنقب عن نفسي التي قد فقدتها بنفسي التي أعيا بها غير شاعر
وأطلبها في الروض إذ كان همها تأمله يفضي بتلك الأزاهر

ومن ذلك أيضا قوله في قصيدته «أقدام الرمال» :

نحن أم تلك على الأرض ظلال وخيال سارب إثر خيال كبقايا
في مقامات وجود للزوال الخطو في وجه الرمال

وإن خير ما يقطع بثبوت هذه المرحلة الضياعية في حياته اعترافه هو بها ، وبتخلصه منها بإيمانه بالله تعالى على الوجه السليم يقول : «فالمؤمن يعرف بقلب مطمئن وضمير مستريح وروح مستبشرة أنه يلبس ثوب العمر بقدر من الله الذي يصرف الوجود كله تصريف الحكيم الخبير .

فأنا أعرف اليوم ـ ولله الحمد والمنة ـ أنه ليس هناك جهد غبين فكل جهد يجزى ، وليس هناك تعب فكل تعب مثمر . وأن المصير مرض ، وأنه بين يدي عادل رحيم ، وأنا أشعر اليوم ـ ولله الحمد والمنة ـ أن الكون لا يقف تلك الوقفة البائسة أبدا ، فروح الكون تؤمن بربها ، وتتجه إليه وتسبح بحمده ، والكون يمشي وفق ناموسه الذي اختاره الله له في طاعة ورضا وتسليم» [1] .

ولكن هذه المرحلة من الضياع ما لبث أن ذابت في وهج الإيمان الغامر حين استقر نور اليقين في أعماقه وهيمن على حسه ، وعمر فكره فانطلق لذلك يصحح المفاهيم السقيمة التي سيطرت عليه مدة من الزمن ، ويشق الدرب على هدى الله لا يرى هناك خلاصا إلا فيه ، كما لمسنا ذلك في النص السابق له ، ولمسناه فيما كتبه إلى أن تزوج بالشهادة المعطاء من أجل أن تسود كلمة الله بين الناس .

(١) انظر : في ظلال القرآن المجلد ٧ ، ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ط ٤ .

في معترك الحياة الفكرية :

لقد تابع سيد قطب ~ تعالى مسيرته الفكرية فلم تقف مأساة الحب في طريقه حجر عثرة؛ إذ أخذ يبني مجده الأدبي وجاهه العلمي بهمة لا تعرف النصب ، فلفت إليه الأنظار حين شرع يسهم في المعارك الأدبية والفكرية ، ورحبت كبرى المجلات بإنتاجه «الرسالة» و«الثقافة» و«المقتطف» و«الكاتب المصري» ومجلة «دار العلوم» وجريدة «الأهرام» وغيرها .

وكان سيد في خضم هذه الحياة الفكرية لا ينسى أن يربط صلته برواد الفكر حينذاك ، ويتابع بنهم ما يوالي نشره فكان يتابع أستاذه «عباس محمود العقاد» ، ويحضر ندواته الشهيرة باستمرار .

وقد فاجأ سيد قطب عالم الفكر بإنتاجه النقدي حين طلع على الناس بعدة مقالات تحت عنوان «معركة النقد الأدبي ودوافعها الأصلية» ؛ وذلك أن مجلة «الأسبوع» خصصت بابا للنقد سنة ١٣٥٣هـ موافق ١٩٣٤م تحت عنوان «المنبر الحر» [١] ، ونظرا لجودة هذه الكتابات شك بعض الأدباء أن يصدر ذلك من سيد قطب وخاصة وهو لا يزال في بداية شهرته الأدبية وظنوا أنها لأستاذه العقاد .

وتشغل سيد قطب الحياة الفكرية وتملأ عليه حسه وفؤاده ، ويمضي في الطريق الذي اختاره لنفسه لتحقيق أمجاده الأدبية ، ويخوض المعارك الفكرية كلما لاح في الأفق ما يشجع على خوضها ، وينحاز للدفاع عن أدب العقاد ضد أدب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ~ ، وأنصاره من أمثال : محمود شاكر ، وعلي الطنطاوي ، وسعيد العريان ، وإسماعيل مظهر متهما أولئك في مذهبهم الأدبي بالتصنع والابتعاد عن الواقعية ، وذلك حين يقول : «أما شأن الرافعيين معي شأن الرافعي مع العقاد

(١) انظر مجلة «الأسبوع» السنة (١) ، الأعداد ٣١ ـ ٣٥ ، عام ١٣٥٣ ، ١٩٣٤ .

سواء بسواء كنت أعرض لهم الحياة المائجة الهائجة فيعرضون علي النصوص والألفاظ ، وكنت أحاول أن أفتح أبصارهم ، وأفتق إحساسهم ، وأفهمهم أن الدنيا شيء غير التعبير المزوق ، وغير اللفتات الذهنية القسرية ، والمعاني اللولبية ، والجمل المتثنية المتراقصة ، فيأبون إلا أن يعودوا إلى هذا العبث العابث في لف ودوران» [١] .

بجانب هذا خاض سيد قطب معركة أخرى مع الدكتور محمد مندور حول موضوع «الأدب المهموس» [٢]، وفيه يرفض أن يكون هناك ما يسمى بأدب مهموس في الأدب المهجري ، كما يذهب إلى ذلك مندور ، ويرى أن الأدب الصحيح هو الذي يعتمد على الصدق لا الهمس؛ إذ الصدق هو الميزان الحق الذي ينبغي أن ننظر إليه حين نود أن نقيم عملا أدبيا ما .

كما كانت له معركة أخرى مع الأستاذ «درني خشبة» حول موضوع «شعراء الشباب» [٣] ، ومع الأستاذ صلاح ذهني حول قصص [٤] «محمود تيمور »، وكذلك مع الأستاذ عبد المنعم خلاف حول كتابه «التصوير الفني [٥] في القرآن ».

وقد تألق نجم سيد قطب في هذه المعارك كلها ، واستطاع أن يفرض حضوره في الساحة النقدية ، وأن ينتزع الإعجاب من رواد الفكر حينذاك والرأي العام المثقف .

وتابع سيد قطب ~ تعالى مسيرته ، مضاعفا جهده في ميدان النقد الأدبي حتى وصل إلى مستوى التنظير ؛ إذ اهتم بتقعيد النقد ، ووضع مناهجه وتحديد طرقه

(١) الرسالة ، السنة ٦ ، العدد ٢٨٠ ، ص ١٨٦٤ ، عام ١٣٥٧ ، ١٩٣٨ .

(٢) راجع الرسالة السنة ١١ ، الأعداد : (٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢) ، عام ١٣٦٢هـ ، ١٩٤٣م .

(٣) راجع الرسالة ، السنة ١٢، العدد ٥٦٢ ، ص ٣١٨ ، والعدد ٥٦٤ ، ص ٣٦٠ عام ١٣٦٤ ، ١٩٤٤ .

(٤) راجع الرسالة ، السنة ١٢، العدد ٥٨٨ ، ص ٩١٩ ، والعدد ٥٩٠ ، ص ٩٥٩ ، عام ١٣٦٤ ، ١٩٤٤.

(٥) راجع الرسالة السنة ١٣ ، العدد ٦٠١ ، ص ٤٣ ، والعدد ٦١١ ، ص ٢٧٨ ، عام ١٣٦٥ ، ١٩٤٥.

ومدارسه ، وتعيين مذاهبه ، وخير ما يمثل ذلك كتابه «النقد الأدبي : أصوله ومناهجه» و«كتب وشخصيات» ، وبذلك أصبح الناقد الأول في مصر بعد جيل طه حسين ، والعقاد ، وعبد الرحمن شكري ، بدون منازع .

ولم يكن سيد قطب بارزاً في هذا الميدان فقط؛ بل إنه برز في مجالات أدبية أخرى ، وفق فيها أيما توفيق ، فكتب الشعر ، وأودعه وجدانه ورؤاه ، وكتب القصة وضمنها أفكاره ورؤيتها للأشياء ، وتحليله لبعض قضايا الإنسان المعذب ، وكتب الخاطرة الفنية ، وعالج فيها مفاسد المجتمع وبؤسه وانحرافاته .

والحقيقة التي ينبغي ألا نغفل عنها هي أن سيدا تعددت مواهبه نتيجة ما وهبه الله من قدرات فكرية ، ونبوغ فريد ، وعبقرية نادرة ، لذلك برز في الساحة السياسية كاتبا سياسيا يصول ويجول ، فانتسب أول مرة إلى حزب الوفد ، وخاصة والعقاد من الأعضاء البارزين فيه ، ولكنه شعر بأن التنظيمات الحزبية ليست في المستوى الذي يمكن أن يحقق للأمة تطلعاتها [1] فتخلى عن النشاط الحزبي .

وقد مارس الكتابة السياسية بعد عام ١٣٥٩ ـ ١٩٤٠ وتولت مجلة «الرسالة» و«العالم العربي» نشر ذلك ، وتناول بالتحليل قضايا الوطن والاحتلال الأجنبي وغير ذلك مما سنتحدث عنه وشيكا في فصل خاص من الباب الثاني .

وبرز كذلك سيد في ساحة الإصلاح الاجتماعي؛ إذ اهتم اهتماما خاصا بالجانب الاجتماعي في مصر وغير مصر ، وكتب في هذا مقالات عديدة تحدث فيها عن قضايا الإصلاح الاجتماعي ، وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثاني من الباب الثاني .

---

(١) انظر : الحوار الذي أجرته مع شقيقه محمد مجلة «الغرباء» ، الذي نقلته مجلة «المجتمع» الكويتية ، العدد٢٧٥ ، ص ١٤ ، عام ١٣٩٥ .

ونظرا لاهتماماته السياسية والاجتماعية التي أخذها على كاهله وناضل من أجلها نضالا لا يعرف المداهنة والمجاملة ، وكانت مجلة «الفكر الجديد» التي كان يشرف عليها ويمولها الحاج محمد حلمي المنياوي صاحب دار الكتاب العربي وأحد أعضاء «جماعة الإخوان المسلمين» من جملة المجلات التي عرض فيها اهتماماته تلك والتي كانت ـ أي الفكر الجديد ـ تتحامل على الإقطاعية الطاغية أقول : نظرا لذلك ضيق الحكم القائم على هذه المجلة الخناق ولم يصدر منها إلا اثنا عشر عددا [١] .

وبسبب صدور هذه المجلة حاول الملك فاروق [٢] ، بعد أن باءت محاولات اعتقاله لسيد بالخسران ، أن يغتاله [٣] ، فكلف من أطلق عليه الرصاص ، وباءت كذلك هذه المحاولة بالخسران .

وخاض لأجل ذلك معركة الدفاع عن الشعب المصري المستعبد ، الأمر الذي جعله يدرس الشيوعية والحركات السياسية ، فأكب على موازنة الإسلام بالمذاهب الأخرى ، وراح يكتب بمجلة «اللواء الجديد» التي كان يصدرها الأستاذ فتحي

---

(١) انظر : الحوار السالف الذكر ، ويذهب الأستاذ يوسف العظم في كتابه «الشهيد سيد قطب» ، إلى أن مجلة «الفكر الجديد» ، صدر منها ستة أعداد راجع ص ٢٢٧ ، على حين الأستاذ عبد الباقي محمد حسين في البيبليوغرافيا التي وضعها ملحقة برسالته «سيد قطب حياته وأدبه» ، والتي تشمل ما نشره سيد قطب من أعمال في المجلات والصحف أورد عشرة أعداد منها ، وهذا هو الأوثق عندي ، لأن من طبيعة البيبليوغرافيا التركيز مع الشمولية في الإحصاء .

(٢) هو ملك مصر (١٣٣٨ ـ ١٣٨٥هـ ، ١٩٢٠ ـ ١٩٦٥) أبوه هو فؤاد الأول تلقى تعليمه على أساتذة خصوصيين سافر إلى إنجلترا للدراسة ، وفي ٢٣ يوليوز ١٩٥٢ قامت ثورة الجيش فأطاحت به غادر مصر ومات فجأة بروما حيث كان يقيم ، ثم نقل جثمانه إلى مصر ، انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٤ ، دار الشعب مكتبة فرنكلين للطباعة والنشر ، وانظر عطية : الله «أحمد» القاموس السياسي ص ٨٤٧ وما بعدها ، ط دار النهضة العربية ، ١٩٦٨ .

(٣) انظر : صلاح الخالدي «سيد قطب الشهيد الحي» ، من ١١٨ ، وهو يعتمد في هذا الخبر مسودة بحث للدكتور عبد الله عزام .

رضوان والتي كانت تنطق باسم الحزب الوطني ، وكانت مقالاته جملة وتفصيلا صريحة غاية في الصراحة لا تداري ولا تداهن؛ لذلك حقق معه غير ما مرة [١] ، ولكنه تابع مسيرته دون مبالاة .

رحلة إلى العالم الجديد :

في عام ١٣٦٨هـ موافق ١٩٤٨هـ [٢] سافر سيد إلى «أمريكا» في مهمة دراسية تتحدد في الوقوف على المناهج الدراسية وأصول التعليم بعكس ما ذهب إليه الأستاذان : أحمد الجدع وحسن أدهم جرار في كتابهما «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث» [٣] من أن السيد اختير في بعثة دراسية إلى «أمريكا» فحصل على الماجستير؛ ذلك أن رحلته هذه لم تكن من أجل الحصول على شهادة علمية ، وإنما كانت فقط رحلة للاطلاع على مناهج التعليم في مختلف الجامعات والمعاهد الأمريكية بوصفه أحد موظفي وزارة المعارف ، وقد نقل ذلك الأستاذ مصطفى العالم عن سيد نفسه فيما كتبه عنه بصحيفة «الشهاب» البيروتية ، ومما يؤيد هذا ما قاله أخوه الأستاذ محمد من أن : «بعثته لم تكن محدودة بزمن معين ، وإنما كانت مدتها تنتهي بانتهاء دراساته الميدانية ، فقد كان أمر إنهائها بيده هو يعود متى شاء » .

ولو أن رحلته كانت لأجل الحصول على الماجستير ما كان أمر إنهائها بيده كما قال شقيقه ؛ إذ الدراسة الانتظامية ليست بيده إنما هي بيد الجامعة .

ولو أن رحلته أيضا كانت لأجل هذا الغرض كذلك لذكر سيد نفسه ذلك في

---

(١) انظر : حوار شقيقه السابق .

(٢) ذهب الأستاذ مهدي فضل الله في كتابه «مع سيد قطب في فكره السياسي والديني » (ص ٥٠) ، إلى أنه سافر إلى أمريكا عام ١٩٤٩ ، وما أثبته هو الصحيح عندي اعتمادا على ما جاء في حوار شقيقه السالف الذكر وهو مقدم على غيره ، ويؤيد هذا العظم والخالدي في كتابيهما عن سيد .

(٣) يذهب المؤلفان في هذا الكتاب بأنه سافر سنة ١٩٤٧، والصحيح ما أثبتناه .

obeikandl.com

الحلقات التي نشرها من كتابه الضائع «أمريكا التي رأيت» ، والتي نشرها تحت عنوان في «ميزان القيم الإنسانية» في مجلة «الرسالة» .

سافر سيد إلى «أمريكا» في هذه المهمة الدراسية ، وكانت هذه الرحلة ، في الحق ، طريقا للخلاص جعلته يفيء إلى نفسه ، ويتساءل عن السلوك الذي يمكن أن يسلكه في العالم الجديد قائلا : «أأذهب إلى أمريكا وأسير فيها سير المبتعثين العاديين الذين يكتفون بالأكل والنوم لابد من التمييز بسمات معينة؟ وهل غير الإسلام والتمسك بآدابه والالتزام بمناهجه في الحياة وسط هذا المعمعان المترف المزود بكل وسائل الشهوة واللذة الحرام ، وأردت أن أكون الرجل الثاني ، وأراد الله أن يمتحنني ، هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة؟ [١] .

بهذا التساؤل أشرق في أعماق سيد نور الإيمان ، فاختار نعم ما اختار ، طريق الهدى يمشي على نوره ، وكان في غمار هذا الاختيار ابتلاء بعد لحظات يشبه إلى حد بعيد ، ابتلاء يوسف عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم [٢] في القصة المعروفة بينه وبين امرأة العزيز [٣] مع فارق بين الابتلاءين : ابتلاء النبوة وابتلاء فرد عادي من البشر؛ وآية ذلك أن سيدا ما أن دلف إلى غرفته في السفينة حتى اقتحمت عليه فتاة الغرفة تراوده عن نفسه ، وفي ذلك يقول : «فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة فارعة الطول شبه عارية يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري ، وبدأتني بالإنجليزية هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عليه هذه الليلة [٤] ، فاعتذرت بأن الغرفة معدة

(١) انظر : صحيفة «الشهاب» البيروتية ، السنة ٦ ، العدد ٩ ، ص٨ ، عام ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

(٢) أورد الله تعالى القصة في سورة يوسف .

(٣) وزير مصر حينذاك وكان على خزائنها ، انظر : ابن كثير «اسماعيل» ، تفسير القرآن العظيم ج ٢ ، ص٤٧٣ ، طبعة دار الفكر .

(٤) انظر : صحيفة «الشهاب» السابقة الذكر .

لسرير ، وكذا السرير لشخص واحد ، فقالت : وكثيرا ما يتسع السرير الواحد لاثنين ، واضطررت أمام وقاحتها ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة ، وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر فقد كانت مخمورة ».

هكذا تفوق سيد على نزعات الشهوة فانتصر على نفسه الأمارة بالسوء في الامتحان الأول الذي امتحنه الله به في المرحلة الأولى من تحوله المفاجئ إلى الإسلام ؛ لذلك حمد الله تعالى قائلا : «هذا أول ابتلاء وشعرت باعتزاز ونشوة ، إذ انتصرت على نفسي ، وبدأت أسير في الطريق الذي رسمته لها » (١) .

وهذه الإشراقة الإيمانية التي ضاءت بها أعماقه كانت حافزا له ، وهو في الباخرة ، إلى أن يدعو المسلمين الموجودين فيها إلى إقامة صلاة الجمعة به تحديا لِمُنَصِّر كان يزاول عمله التنصيري في السفينة ، يقول متحدثا عن هذه النازلة : «كنا نفرا من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى «نيويورك» من بين عشرين ومائة راكبا وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم ، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء «مبشر» كان يزاول عمله على ظهر السفينة ، وحاول أن يزاول تبشيره معنا ، قد يسر لنا قائد السفينة ـ وكان إنجليزيا ـ أن نقيم صلاتنا ، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها ـ وكلهم نوبيون مسلمون ـ أن يصلي منهم معنا من لا يكون في «الخدمة» وقت الصلاة وقد فرحوا بهذا فرحا شديدا ، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة ، وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة » (٢) .

---

(١) انظر : صحيفة «الشهاب» السابقة الذكر .

(٢) انظر الظلال : المجلد ٤ ، ص ٤٢٢ ، ط٦ .

أقام سيد قطب في العالم الجديد فعاين حضارته الهابطة ، وجرت له فيه ما لم يكن يتصوره من مواقف الإغواء ، من ذلك ملاحقات فتاة له كلما انتقل من جامعة إلى أخرى ، أو سافر من مدينة إلى أخرى [١] ، وربما هذا من الخطط الأمريكية الشيطانية لاحتواء سيد واصطياده وإيقاعه في شرك الحضارة الغربية السفيهة .

كما جرى له مع بعض الشباب الأمريكان حوار عن الجنس ، وحاول أن يغريه بشتى الوسائل لتخديره دون جدوى ، وقد استطاع في هذا المجتمع الإباحي أن ينتصر على نزعات النفس الأمارة بالسوء ، يحكي سيد عن بعض ذلك فيقول : «قالت لي إحدى الفتيات الأمريكيات في معهد المعلمين «جريلي كولورادو» في أثناء مناقشة عن الحياة الاجتماعية في أمريكا ، إن مسألة العلاقات الجنسية مسألة بيولوجية بحتة ، وأنتم الشرقيين ، تعقدون هذه المسألة البسيطة بإدخال العنصر الأخلاقي فيها ، فالحصان والفرس والثور والبقرة والكبش والنعجة والديك والفرخة لا يفكر أحد منهما في حكاية الأخلاق هذه وهو يزاول الاتصال الجنسي ، ولذلك تمضي حياتها سهلة بسيطة مريحة» [٢] .

ويحكي سيد أيضا عن بعض ذلك قائلا : «كنت مع زميل مصري في هذا الفندق ـ بعد وصولنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بيومين اثنين ـ وقد أمس إلينا عامل المعهد الزنجي لأننا أقرب إلى لونه ، لأننا لا نحتقر الملونين فجعل يعرض علينا خدمات في الترفيه ويذكر عينات من هذا الترفيه بما فيها الشذوذات المختلفة » [٣] .

---

(١) انظر : صحيفة «الشهاب» البيروتية السابقة الذكر .

(٢) انظر : كتابه : الإسلام ومشكلات الحضارة ، ص٧٤ ، طبعة ١٩٦٢ .

(٣) انظر : كتابه : الإسلام ومشكلات الحضارة ، ص٧٥ .

وبعد رجوعه أيقن أن المجتمع الغربي غير صالح مطلقا للاقتداء ، وقد صرح بذلك لصديقه الأستاذ توفيق الحكيم في رسالة بعث بها إليه يهاجم فيها الحضارة الأمريكية المتفسخة ، وصرح به أيضا في كتابه : «أمريكا التي رأيت» مؤيدا ذلك بالحجة ، والبرهان ، ومحللا في الوقت نفسه البنية المجتمعية المنخورة للعالم الجديد .

في الحق إن رحلته إلى «أمريكا» كانت محكاً لمشاعره ، ومجهرا شاهد من خلاله حقيقة الحضارة الغربية ، فحفزه ذلك إلى أن يغير نظرته نحو هذه الحضارة وينظر إليها نظرة الاحتقار خاصة ما يتعلق بواجهة الإباحية فيها وواجهة الاستعباد والميز العنصري .

وعرفته هذه المرحلة ـ بجانب ذلك ـ بما يكنه الغرب من حقد على الإسلام ، وليس أدل على ذلك من أنه لاحظ فرحة تغمر الأوساط الأمريكية حين بلغها اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا ﷺ ، وفي هذا يقول : «كنت يومها في أمريكا ، أي يوم قتل الإمام الشهيد حسن البنا ، ولم أكن أعطي الحركة الإسلامية ولا لمرشدها من اهتمامي ما يجعلها على مستوى التنظيمات السياسية ، أو الدعوات الاجتماعية الأخرى ، ولم أكن أتصور أنها تشكل في بؤرة الشعور الغربي شيئا يذكر حتى صدمني الواقع من حولي في أمريكا ، وهزني وفتح عيني فتحا على ما لم أفطن إليه قبل .

لقد شهدت مظاهر الابتهاج والفرحة والشماتة في كل شيء من حولي في الصحافة ، وفي جميع أجهزة الإعلام ، وفي كافة المنتديات ، كلها تهلل ويهنئ بعضها بعضا بالتخلص من أخطر رجل في الشرق ، فعجبت من هذا الاهتمام به والتقييم لحركته ، والتتبع الواعي إلى هذا الحد الذي لا وجود لمثله في بلادنا نفسها ، وعلمت أن في الأمر سرا أكبر يغيب عني يكمن في طبيعة دعوة هذا الرجل .

ووصلت «مصر» وقرأت جميع رسائل الإمام الشهيد، ووقفت على سيرته النقية وأهدافه الحقة، وعلمت لماذا يحارب، ولماذا قتل، وعاهدت الله على أن أحمل الأمانة بعده، وأواصل السير على نفس الطريق الذي لقي الله عليه، والذي آمنت به، وهداني إليه وأنا في أمريكا »[1].

*****

(١) انظر: مجلة «المجتمع» الكويتية، ص١٠، ١١، العدد ١١٥، ١٩ رجب ١٣٩٢، ٢٩ غشت ١٩٧٢م.

obeikandl.com